عبد الله بن رواحة*

الاسم والنسب والمولد والأسرة :

هو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الخزرجي الأنصاري ، سيد من سادات الأنصار ، انحدرت إليه السيادة من أسرة أبيه التي كانت معروفة بذلك ، فلقد كانت تحكم بين الناس في الخصومات ، وانحدرت إليه السيادة أيضا من أسرة أمه (كبشة بنت واقد الخزرجية) فلقد كان جده لأمه (عمرو بن الإطنابة) فارسا معروفا ، وسيدا من سادات الخزرج وأحد قوادها .

ولد عبد الله بن رواحة في يثرب ،لكن المصادر لم تسعفنا بتاريخ ميلاده،ولم تعطنا صورة كاملة عن طفولته ، بيد أنها تشير إلي أنه كان لعبد الله أخت تسمي (عمرة بنت رواحة) وهي أم الصحابي الجليل النعمان بن بشير ، ومن الأسرة نفسها أخوه (أبو الدرداء) ! " عويمر بن عامر " وهو صحابي جليل روى كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة ، وقد قال عنه النبي ﷺ " نعم الفارس عويمر " ولكن أبا الدرداء كان أخا لعبد الله من أمه ، ومن إخوة عبد الله من أمه : قيس بن شماس من نجباء الصحابة وكان خطيب الأنصار .

نشأته وحياته :

نشأ عبد الله بن رواحة في يثرب في ظل أسرة عرفت بالشرف والسيادة، ولكننا لا نجد أخبارا كثيرة عن نشأته الأولي في الجاهلية ولا تسطيع تلك الأخبار أن ترسم لنا صورة واضحة لنشأته المبكرة بيد أن كتب التاريخ والسيرة تروي لنا أن والده قد عني بتربيته منذ الصغر ،

---

* انظر هذا الموضوع في :
١- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / جـ١، صـ ٢٢٣.
٢- جمهرة أشعار العرب / أبو زيد القرشى / صـ ٢٨٩ .
٣- سيرة ابن هشام / مواضع متفرقة .
٤- العقد الفريد / ابن عبد ربه / مواضع متفرقة .
٥- ديوان عبد الله بن رواحه / وليد قصاب / ط ثانية سنة ١٩٨٨ – دار الضياء – عمان .
٦- الطبقات الكبري ابن سعد / ط١صادر بيروت سنة ١٩٥٧ .
٧- دراسات في الأدب الإسلامي/ د . سامي مكي العاني/ ط ، المكتب الاسلامي ، العراق ، سنة ١٩٧٥ .

وكان عبد الله يعرف الكتابة مما جعل النبي ﷺ - فيما بعد – يختاره نقيبا علي قومه في بيعه العقبة الثانية .

كان عبد الله صاحب ثروة وجاه وكان يملك عددا من الغلمان والعبيد.

وإذا كانت الأخبار التي تروى عن حياته في الجاهلية قليلة فإنها تعطينا صورة واضحة له بعد إسلامه ، فلقد أسلم عبد الله بن رواحة في بيعة العقبة الثانية (سنة ١٣ من البعثة) حيث كان ضمن الوفد الذي لقي النبي ﷺ عند العقبة (٧٣ رجلا وامرأتان) فدخوله في الإسلام كان مبكرا .

ولمكانته اختاره الرسول ﷺ نقيبا ضمن الاثني عشر نقيبا الذين كانوا كفلاء على قومهم .

أخلاقه :

كان ابن رواحة رجلا صادق الإيمان قوي العقيدة ، سباقا إلي العبادة والطاعة ، وفعل الخيرات ، ومن أكبر زهاد المسلمين وعبادهم ، كان شديد التدين والورع والتقوى ، يقول أبو الدرداء :" نكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة : ويقول عنه الرسول ﷺ :" رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ " ويقول عنه ﷺ أيضا " إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة"

كان عبد الله بن رواحة حريصا علي تنفيذ أوامر الله عز وجل ، يتحرى ما يرضي رسول الله ﷺ ، ويتشدد في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان يبكي من خشية الله ، دائم الذكر لربه ، كثير الصلاة إلي درجة أنه كان إذا دخل بيته صلى ركعتين وإذا أراد أن يخرج صلي ركعتين.

لقد كان عبد الله بن رواحة مثالا للطاعة والتقوى بالإضافة إلي شجاعته وفروسيته فرحم الله ابن رواحة راهب الليل وفارس النهار، إنه " نعم الرجل" كما قال عنه رسول الله ﷺ .

جهاده :

تعمق الإيمان قلب عبد الله بن رواحة منذ أن دخل في الإسلام ، فكان له دور بارز في الأحداث الإسلامية ، فلقد كان مقاتلا فارسا مسلما مجاهدا شجاعا لا يتوانى عن أداء واجبه، شهد بدرا وأحدا والخندق وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح لأنه قد استشهد في مؤتة سنة ٨ هـ .

ففي بدر: كان أحد الأنصار الثلاثة الذين تقدموا للمبارزة ، ولما رفضت قريش تقدم علي وحمزة وعبيد الله بن الحارث ، وأبلى عبد الله في المعركة بلاء حسنا ولما انتهت المعركة كان عبد الله بشيرا إلي أهل العالية من قبل رسول الله ﷺ .

وفي أحد : كان له دور المجاهد الصابر والشاعر الحزين علي الشهداء .

وفي بدر الثانية : استخلفه الرسول ﷺ علي المدينة فكان أميرا علي المدينة لمدة ستة عشر يوما .

وفي الخندق: كان له دور في بث الحماس في نفوس الذين عملوا في الخندق فقد كانوا يرتجزون شعره ، وفي هذه المعركة أبلى عبد الله بلاء حسنا [١].

واشترك عبد الله مقاتلا في غزوة بني المصطلق (سنة ٦ هـ) كما كان أحد الثلاثة الذين أرسل بهم النبي ﷺ ليستكشف خبر أسير ابن رزام اليهودي الذي اقترح طريقة علي اليهود لقتل النبي ﷺ ، فلما علم عبد الله بذلك رجع إلي النبي ﷺ يخبره بما أراد أسير فأمره النبي علي ثلاثين رجلا في سرية إلي خيبر، وقد استطاع عبد الله أن يقتل أسيرا ومن معه من اليهود .

وفي عمره القضاء (سنة ٧ هـ) كان عبد الله آخذا بخطام ناقة النبي وهو يرتجز :

---

(١) ومن ذلك الشعر قوله : لاهم إن العيش عيش الآخرة. فارحم الأنصار والمهاجره – الديوان صـ١٤١.

خلوا بني الكفار عــن سبيــله خلوا فكل الخير مع رســوله

وذهب إلي خيبر بعد عمرة القضاء خارصا (يقدر ما علي الشجر من الثمار بالظن) وكان شديدا في خرصه فأراد اليهود أن يرشوه فرفض وقال : أتطعموني السحت وقد جئتكم من عند أحب الناس إلي وأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير . وهكذا يستمر في جهاده حتى يستشهد في مؤتة (سنة ٨ هـ) التي كان أحد أمراء الجيش فيها .

منزلته الشعرية :

كان عبد الله بن رواحة أجرأ وأسرع شعرا في كثير من المواقف ، وقد عرف له النبي ﷺ ذلك كما عرف له مكانته شاعرا ؛ ولذلك سأله مرة ما الشعر يا عبد الله فقال : " شئ يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه "فقال له النبي ﷺ :

هل تستطيع أن تقول شيئا ؟ فقال وقد نظر في وجه النبي عليه السلام :

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصــرُ
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حســن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا[1]
نصروا[1]

فدعا له النبي ﷺ قائلا :" وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت الله "

وكان رسول الله ﷺ يستمع إلى شعر عبد الله بن رواحة وهو ينشد فيرتاح إليه ولذلك حينما دخل ﷺ مكة في عمرة القضاء ليطوف بالبيت ، كان عبد الله آخذ بخطام ناقة النبي منشدا

خلوا بني الكفار عــن سبيــله خلوا فكل الخير مع رســول[2]

---

(١) الديوان / صـــ ١٥٩. ويروى البيت الثالث في نتفه علي النحو التالي :
فثبت الله ما آتاك من حسن قفوت عيسي بإذن الله والقدر
– صـــ١٦٠

(٢) البيت في الديوان / صـــ ١٤٤. وانظر الرواية في طبقات فحول الشعراء ، ج١ ، صـــ ٢٢٣.

فقال عمر رضي الله عنه : " أفي الحرم وبين يدي رسول الله تقول الشعر؟ " فقال الرسول ﷺ " خلّ عنه يا عمر ".

وكان الرسول ﷺ كثيرا ما يرد د شعره ويأنس بإنشاده ويستعين به علي العمل كما في غزوة الخندق ، وقد وصفه النبي ﷺ بأنه : لا يقول الرفث " كما كان يأمره بالرد علي كفار قريش وذلك في مثل قوله " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن" ولذلك كان أحد الشعراء الثلاثة الذين تولوا الدفاع عن الإسلام في معركة الهجاء ضد شعراء قريش ؛ ولذا قال النبي ﷺ" إنك لحسن الشعر" .

وقد وضعه ابن سلام ثالث ثلاثة من شعراء يثرب وقال عنه " عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله ﷺ[1].

فهو من طبقة حسان بن ثابت ومعني ذلك أنه من فحول شعراء المدينة ولمكانته الشعرية روي له أبو زيد القرشى في جمهرته قصيدة مطلعها .

تذكر بعدما شطت نجودا وكانت تيمت قلبي وليدا[2]

وقد جعلها من المذهبات بل ثانية المذهبات ، وقال عنه الآمدى " هو شاعر محسن وفارس " . وقال عنه صاحب الاستيعاب إنه " أحد الشعراء المحسنين وقيل عنه إنه أحد الشعراء المفلقين .

شعره :

علي الرغم من قلة شعر ابن رواحة فإنه متعدد الأغراض والموضوعات وأهمها ما يلي :

١- الشعر الحماسى :

ونقصد به الشعر الذي نظمه في تشجيع المسلمين في أوقات الشدة وساعات الحرب ، وقد كان لهذا الشعر أثر كبير في نفوس المسلمين ، يبعث فيهم الحماس والحمية ، والهمة والنشاط ، ويبث فيهم الصبر

(١) طبقات فحول الشعراء / جـ١ / صـ ٢٢٣.
(٢) جمهرة أشعار العرب / صـ ٢٨٩ .

والايمان ويلهب العزائم والهمم، وقد كان أغلب هذا الشعر رجزا مرتجلا، فيه الصدق والحرارة ، وكان يلقى عند المسلمين استجابة كبيرة ، ومن ذلك ما كانوا ينشدونه من شعره وهم منهمكون في بناء مسجد قباء :

أفلح من يعالج المساجدا
ويقرأ القرآن قائما وقاعدا
ولا يبيت الليل عنه راقدا[1]

وكان الرسول ﷺ يردد وراء الشاعر قافيه كل بيت ، وكان لعبد الله بن رواحة شعر حماسى في يوم الخندق يثير فيه حمية المسلمين ، وكان الصحابة وهم يعملون يرتجزونه ، يقول فيه :

تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
الكافرون قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا[2]

وفي مؤتة أخذ ينشد الناس وقد تحيروا في أمرهم ودخلهم روع وخوف وفزع ، ومن ذلك قوله :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع تغر من الحشيش لها العكوم
أقامت ليلتين علي معان فأعقب بعد فترتها جموم
فعبأنا أعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم[3]

وأخذ ينشد بعد استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب قائلا :

أقسمت يا نفس لتنزلنه
طائعة أولا لتكرهنه
مالي أراك تكرهين الجنه

---

(١) الديوان / صـ ١٢٩ .
(٢) الديوان / صـ١٣٩.
(٣) الديوان / صـ١٤٩ / ١٥٠.

قد طالما قد كنت مطمئنه [1]

٢- ذكر الموت :

ورد في شعر ابن رواحة ذكر الموت وخاصة منذ بدأ يتجهز للخروج إلي مؤتة، وكانما كان لديه إحساس بذلك ، وكان فرحا بهذه النهاية التي تشوق إليها ، وأمل فيها وانتظرها طويلا فلقد كان يسأل الله الشهادة والمغفرة وذلك كما يظهر في قوله :

لكننى أسأل الرحمن مغفـرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبـدا
أو طعنة بيدي حران مجـهزة بحربة تنفـذ الأحشـاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا علي جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا[2]

وقد امتزج عنده الشوق إلي الشهادة بزهد في الحياة وبهرجها ، ولذلك أرخص كل شئ، ولم يعد يبالي بشئ في الحياة ، يقول معبرا عن ذلك :

هنالك لا أبالـي طلع بعـل ولا نخـل أسافـلها رواء[3]

وحينما اقترب تحقيق الأمل فاستشهد صاحباه (زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب) اندفع يحمل الراية ويقود الجيش قائلا :

أقسمـت يا نفـس لتنزلنـه طائعة أولا لتكرهنه[4]

وحينما أصيبت أصبعه ونفر منها الدم لم يعبأ بذلك واستمر في القتال مرتجزا قوله :

هـل أنت إلا إصبع دمـيت وفـي سبيـل الله ما لقـيت
يا نفـس إلا تقتلي تموتـي هذا حمـام الموت قد صليت
ومـا تمنيت فقد أعطيـت إن تفعـلي فعلهـا هديـت[5]

---

(١) الديوان ، صـ١٥٣.
(٢) الديوان / صـ١٤٧.
(٣) الديوان / صـ١٥١.
(٤) الديوان / صـ١٥٣.
(٥) الديوان / صـ١٥٤.

٣- الرثاء :

لعبد الله بن رواحة شعر في رثاء بعض الشهداء الذي وقعوا صرعي الأحداث أشهره قصيدته التي نظمها في رثاء حمزة بن عبد المطلب التي يقول فيها :

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل
علي أسد الاله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل[١]

وهو في هذه القصيدة يمزج بين رثاء حمزة وبين الرد علي قريش التي فرحت بما حققت من نصر يوم أحد .

٤- الدفاع عن الاسلام والنبي ﷺ :

ومن أهم أغراض شعر عبد الله بن رواحة ذكره الإسلام والدفاع عنه وعن النبي ﷺ، وقد ظهرت في هذا الغرض المعاني الدينية والتأثر بأفكار الإسلام وعباراته، وألفاظه، ومن ذلك قوله :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوي الكفارينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله المقربينا[٢]

وفي هذا النوع من الشعر نراه يذكر الرسول الكريم ﷺ ويذكر فضله ويتحدث عن فضل الدين الذي أخرج الله به عباده من الضلال إلي الحق ومن العمى إلي النور والخير إلي الرشاد إذا يقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدي بعد العمي فقلوبنا به موقنات إن قال واقع
وأعلم علما ليس بالظن أنني إلى الله محشور هناك وراجع[٣]

وفي هذا النوع – أيضا – يمدح النبي ﷺ وآل هاشم ، ومن ذلك قوله :

---

(١) الديوان / صـ١٣٢.
(٢) الديوان / صـ ١٦٥
(٣) الديوان / صـ ١٦٢.

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر[1]
القدر[1]

ويقول :

يا آل هاشم إن الله فضلكم علي البرية فضلا ما له غيرُ[2]

السمات الفنية لشعر عبد الله بن رواحة .

يتسم أغلب شعر ابن رواحة بخلوه من الصنعة والتكلف فهو شعر سهل بسيط مطبوع ، يتدفق في سهولة وانسياب ، حتى لكأنه في بعض الأحيان كلام عادي لخفته وقرب مأخذه ، وليس فيه مراجعة أو تنقيح فهو وليد اللحظة الخاطفة واللمحة السريعة والموقف المفروض ؛ ولذا قيل عن ابن رواحة إنه " أجرأ وأسرع شعرا فلقد كان يقول الشعر الذي تقتضيه الساعة واللحظة والموقف . واتسم أيضا ببساطة التراكيب ووضوح المعاني . وكثير منه كان مقطعات ، وهي مقطوعات أقرب ما تكون إلي الروح الشعبية وإلي لغة الخطاب العادي اليومي ، وتتجلي فيه الروح الاسلامية : معني وتعبيرا وصيغا .

هذا هو ابن رواحة الصحابي الجليل ، الفارس المغوار والشاعر المسلم المجاهد الذي حمل سيفه وقلمه في سبيل الله عز وجل .

هذا هو ابن رواحة "راهب الليل وفارس النهار " الذي قال عنه النبي ﷺ " نعم الرجل ابن رواحة " والذي كان يرى الرسول ﷺ أن من أقرب الشعر إلي قلبه شعر عبد الله بن رواحة ؛ ولذلك كان كثيرا ما يستزيده وكان المسلمون يرددون أراجيزه الجميلة .

رحم الله ابن رواحة رحمة واسعة على قدر ما أعطي للإسلام وبذل في سبيله .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

---

(١) الديوان / صـ١٥٩.
(٢) الديوان / صـ ١٥٩ .